

خطبة عيد الأضحى ١٤٣٠ هـ

لفضيلة الشيخ/ منصور الشامي - حفظه الله

عيدنا هو العيد

الصادرة عن مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

نحمده ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)

أما بعد:

فإنّ هذا اليوم من الأيام العظيمة المباركة التي يفرح فيها المسلمون ويتقرب فيها المتقربون إلى الله بأنواع العبادات، وهي أيام أكلٍ وشربٍ وذكرٍ لله سبحانه وتعالى، ومن أعظم العبادات التي تكون في هذه الأيام المباركة عبادة الذبح لله سبحانه وتعالى، هذه العبادة التي تذكرنا بقصة إبراهيم عليه السلام الذي أمره الله سبحانه وتعالى بأن يذبح ولده وقرّة عينه إسماعيل عليه السلام فبادر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام إلى ذبح ولده امتثالاً لأمر الله وتسليماً لله سبحانه وتعالى ففداه الله سبحانه وتعالى يذبح عظيم.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام بادر امتثالاً إلى أمر الله سبحانه وتعالى ذلك لأنّ قلبه قد امتلأ محبة لله سبحانه وتعالى ولم يبق شعْبٌ في قلبه إلا وقد امتلأ بمحبة الله سبحانه وتعالى، وكان هذا دليلاً -أي مبادرته إلى ذبح ولده- كان هذا دليلاً وبرهاناً على صِدْقِ محبته لله سبحانه وتعالى ولذلك اتخذهُ الله سبحانه وتعالى خليلاً، ومن أعظم الموازين التي يُعرف بها محبة العبد لربه -يعرف بها محبة الصادقين من محبة الكاذبين- هي عبادة الجهاد هذه العبادة التي تتطلب من العبد أن يفارق محبوباته من أجل محبة الله سبحانه وتعالى ويؤثر محبة الله سبحانه وتعالى على سائر محبوباته، فيفارق الأهل والأوطان والمال والخلان ويضحّي بنفسه من أجل الله سبحانه وتعالى، فمن قام بهذه العبادة المباركة -عبادة الجهاد- فهذا دليلٌ على صِدْقِ محبته لله سبحانه وتعالى ومن نقص عن هذه العبادة ولم يقم بهذه العبادة فهذا دليلٌ على كذب دعواه كما قال سبحانه وتعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ).

عباد الله:

إنّ هذا اليوم يوم فرح وسرور يفرح فيه المسلمون في كل مكان، وإنّ كثيراً من الناس ليظنون أنّ أهل الجهاد لا يفرحون في مثل هذا اليوم، وإنّ كثيراً من الناس ليظنون أنّ أهل الجهاد بمعزل عن السرور والأفراح ولا يجدون للعيد طعماً وأنهم دائماً في همومٍ وأحزان ومصائبٍ وشدائدٍ، كلا والله إنّ المجاهدين يعيشون في سعادة لو علمها الملوك لجالدوهم عليها بالسيوف، ولو كان هناك أحد يشعر بطعم العيد حقيقة في هذا الزمان المرير لكان هم أهل الجهاد، ففي الحقيقة هذا العيد هو عيدهم عيد أهل الجهاد، وكيف لا يكون العيد عيدهم وهم قد أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بنعمتين عظيمتين نعمة الجهاد ونعمة الهجرة، نعمة الهجرة يحفظون بها دينهم ونعمة الجهاد يحفظون بها دين الأمة.

كيف لا يكون العيد عيدهم وهم يتسنّمون ذروة سنام الإسلام، وكيف لا يكون العيد عيدهم وقد أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين في سبيله مئة درجة ما بين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض، وكيف لا يكون العيد عيدهم ومن اغبرت قدماء في سبيل الله حرم الله عليه النار، وكيف لا يكون العيد عيدهم وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بهدايتهم (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)، وكيف لا يكون العيد عيدهم وقد تكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيماناً به وتصديقاً بكلماته أن يدخله الجنة أو يردّه إلى مسكنه بما نال من أجرٍ أو غنيمة، وكيف لا يكون العيد عيدهم ومثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيامٍ ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله، وكيف لا يكون العيد عيدهم وقد أعد الله سبحانه وتعالى لمن قُتل في الجهاد صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدبر سبع خصال: يُغفر له في أول دفعةٍ من دمه، ويُرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفرع الأكبر، ويُحلى حُلّة الإيمان، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزوج بثنتين وسبعين من الحور العين، ويُشفع في سبعين من أقاربه.

كيف لا يكون العيد عيدهم وهم يتفوقون بجهادهم العذاب الأليم (إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وكيف لا يكون العيد عيدهم وهم الذين أكرمهم الله سبحانه وتعالى بالقيام بهذه العبادة الجليلة التي هي الفارق بين أهل النفاق وأهل الإيمان قال صلى الله عليه وسلم: "من لم يغزُ ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق".

كيف لا يكون العيد عيدهم وهم الذين أكرمهم الله فحازوا شرف الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وهم الذين يسعون في إقامة شرع الله، وهم المشمرون في تخليص إخوانهم المأسورين والمأسورات وتخليص المظلومين والمظلومات والمستغيثين والمستغيثات، فكيف لا يكون العيد عيدهم؟

فالعيد الحقيقي هو عيد أهل الجهاد الذين نفصوا غبار الذل عن أنفسهم، بل في الحقيقة أيام المجاهد كلها عيد، حياتهم كلها عيد، بل قتلهم عيد، ذلك اليوم الذي يلاقون فيه ربهم سبحانه وتعالى ذلك اليوم الذي يلاقون فيه إخوانهم الذين سبقوهم، ذلك اليوم الذي يلاقون فيه ما أعد الله لهم من الجنات التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر!

مع ذلك فأهل الجهاد أكثر الناس تواضعاً، ومع ذلك فأهل الجهاد أرحم الناس بهذه الأمة، هم أرحم بهذه الأمّة من ولدها، ألا ترى أنهم فارقوا الأهل والأوطان والأموال والخُلق من أجل هذه الأمّة ودينها؟ ألا ترى أنهم يصافحون برقابهم السيوف وتنقطع أوصالهم تحت الفُصوف لتتعم هذه الأمّة بعدهم بالثمرات والُطُوف؟

وألا ترى أنّ طائفة من هذه الأمّة غافلة عن نُصرتهم بل منهم من يتعمد خُذلانهم ومخالفتهم وهم مع ذلك لهم كالنحلة الناس يحذفونها بالحجر فتُلقي عليهم النثر، قائلين: (إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لُوحَهُ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا).

وأهل الجهاد هم أكثر الناس حُرِيَّة لم تُقيدهم شهواتهم ولا أهواؤهم بل أثروا محبوبات الله سبحانه وتعالى على سائر المحبوبات فهم عبيدُ الله سبحانه وتعالى وحده ليسوا عبيدًا للشهوات وليسوا عبيدًا للأهواء، هم الموحدون لله سبحانه وتعالى حقًا، وأهل الجهاد هم أعز الناس يتسمنون ذروة سنام الإسلام، الله سبحانه وتعالى معهم ومن كان الله سبحانه وتعالى معه فلا يحزن، **(لَا تَحْزَنُ إِنْ اللَّهَ مَعًا)** ومن كان الله معه فمن من يخاف؟ ومن كان الله عليه فمن يرجو؟ وأهل الجهاد أوسع الناس صدرًا وأوسع الناس أرضًا، الأرض كلها لهم، هم لم يقيدوا أنفسهم بحدودٍ ولا أوطان ولا يُقرون أصلًا بهذه الرسوم التي صنعها الكفار لتمزيق جسد المسلمين فطوبى لمن جعله الله سبحانه وتعالى من أهل الجهاد.

وهذا يستوجب من أهل الجهاد أن يشكروا الله سبحانه وتعالى ليلًا ونهارًا وسرًا وجهارًا على هذه النعمة العظيمة التي حُرِم منها كثيرٌ من الناس، فيجب على أهل الجهاد أن يشكروا الله سبحانه وتعالى حتى يزيدهم وحتى يثبّتهم وحتى يوفقهم وحتى ينصرهم على القوم الكافرين، **(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)، (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا)**.

فاشكروا الله سبحانه وتعالى ليلًا ونهارًا سرًا وجهارًا على هذه النعمة العظيمة وتواضعوا لله سبحانه وتعالى فإن من تواضع لله رفعه، وإياكم والغرور فإنه يقصم الظهر ولا يأتي إلا بالهلاك والخذلان والعياذ بالله.

وهنا أبشّر أمّتنا المباركة الغالية المُشرّفة بأن أهل الجهاد صابرون ثابتون على ربهم متوكلون، **(وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا)**، **(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)**، فأبشّر هذه الأمة المباركة بأن أهل الجهاد صابرون وثابتون، وأنهم على أبواب النصر وأنّ البلاء لا يزيدهم إلا شدةً وصبرًا ويقينًا بالله سبحانه وتعالى، وأنهم إذا رأوا بلاءً قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل **(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ)** فأبشري يا أمة الإسلام قريبًا إن شاء الله يُقام شرع الله على بلاد المسلمين كلهم بل على الأرض كلها، وقريبًا إن شاء الله يرتفع الظلم عن المظلومين، وقريبًا إن شاء الله يزول الليل ويأتي النهار، نهار الإسلام فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يُثبّتنا حتى نلقاه.

(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).
(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).
(رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله.



قسم التفريغ والنشر